*Al-Qasemi Journal of Islamic Studies*, **volume 8, issue 1 (2023), 47-86**

# المكان، بين التوصيف الجغرافي والعقائدي:
# حوض البلدة القديمة في القدس نموذجًا

راسم محيي الدين خمايسي[1]

# The Place: between geographical and ideological descriptions:
# The Old City basin in Jerusalem as an example

**Rassem Mohy-elden Khamaisi**

**Abstract**

The conflict over the Old City and its Visual Basin is at the heart of the conflict between Palestinian Arabs and Israeli Jews. This conflict stems from the formulation of the narrative of the sacred, the weaving of the term and the production and possession of the place. This article discusses how the term "sacred\holy" basin is named for the visual basin area that surrounds the Old City.

The granting of the status and name of sanctification to the area around the Old City is the result of ideological motives in order to control the geopolitical space. The article claims that the State of Israel (Jewish and Zionist institutions) apply a matrix of control to achieve demographic, spatial and territorial goals, strategies and policies, land ownership and spatial planning to secure Israeli control over the perimeter of the Old City of Jerusalem and change its landscape. This brief paper

[1] راسم محيي الدين خمايسي، مخطط مدن وجغرافي، أستاذ التخطيط والجغرافيا الحضرية، قسم الجغرافيا، جامعة حيفا، ورئيس مركز التخطيط والدراسات، كفركنا، Khamaisir@gmail.com.

2. خمايسي راسم محيي الدين، 2022. التخطيط الحيزي والممارسة الاستعمارية الصهيونية في فلسطين، المستقبل العربي، العدد 525، السنة 45، ص. 45- 58.

محاجنة علاء، 2018. القدس في القانون الإسرائيلي في ضوء إعلان ترامب :انعكاسات المواجهة وخياراتها. سياسات عربية. العدد 32. ص. 75- 86.

aims to monitor how to transform the definition of place from a geographical concept to a religious ideology, by presenting and discussing the state of the ongoing struggle for control of the Old City and the surrounding visual basin as part of the application of the penetration strategy and the extension of the Israeli matrix of control to change its demographic, geographical and heritage reality. The paper relies in the presentation and analysis on the descriptive and comparative critical approach, relying on previous research conducted and plans prepared for the study area.

The study concludes that the production of the term defining the place from geographical to ideological, translated into a novel that seeks to engineer consciousness and establish the ethics of using the matrix of control to achieve the project of the dominant state. Therefore, it is necessary to produce and adopt semi-neutral terminology that translates a narrative, a vision that forms the basis for the formulation of the urban city space, to open horizons for the development of the city and to reach geopolitical settlements that reduce the level of conflict over the city and clash within it.

## الملخّص

يشكل الصراع على البلدة القديمة وحوضها البصري قلب الصراع بين العرب الفلسطينيون واليهود الإسرائيليون. هذا الصراع ينطلق من صياغة رواية المقدس، حياكة المصطلح وإنتاج المكان وامتلاكه. تتناول هذه المقالة كيفية انتاج مصطلح الحوض "المقدس" مسعى لمنطقة الحوض البصري التي تحيط بالبلدة القديمة. منح صفة ومسعى التقديس على منطقة محيط البلدة القديمة هو نتاج لدوافع عقائدية من اجل السيطرة على الحيز الجيوسياسي. يدعي المقال ان دولة إسرائيل والمؤسسات اليهودية والصهيونية تطبق مصفوفة ضبط لتحقيق اهداف، استراتيجية وسياسات ديموغرافية، حيزية، ملكية أراضي وتخطيط حيزي ليؤمن السيطرة الإسرائيلية على محيط البلدة القديمة في القدس وتغيير مشهده. تهدف هذه الورقة الموجزة الى رصد كيفية تحويل تعريف المكان من مفهوم جغرافي الى إيديولوجي ديني، من خلال عرض ومناقشة حال الصراع الدائر على السيطرة على البلدة القديمة والحوض البصري المحيط بها كجزء من تطبيق استراتيجية التغلغل وبسط مصفوفة الضبط الإسرائيلية عليه لتغيير واقعه الديموغرافي والجغرافي والتراثي. تعتمد الورقة في العرض

والتحليل على المنهج الوصفي النقدي المقارن، معتمدين على أبحاث سابقة أجريت ومخططات اعدت لمنطقة الدراسة. تخلص الدراسة ان انتاج المصطلح المعرف للمكان من جغرافي الى عقائدي، مترجم لرواية تسعى الى هندسة الوعي وتؤسس لأخلاقيات استخدام مصفوفة الضبط لتحقيق مشروع الدولة المسيطرة. لذا لا بد من انتاج وتبني مصطلحات شبه حياديه تترجم رواية، رؤية تشكل أساس لصياغة حيز المدينة الحضري، لفتح افاق لتطوير المدينة وللوصول الى تسويات جيوسياسية تخفض مستوى الصراع على المدينة والصدام بها.

**مقدمة**

يُعرف المكان على أنّه حيّز أو مجال جغرافي له معانٍ قِيَمِّية تُساهم في نسج علاقة ارتباط الإنسان به ومعه، فردًا وجماعة. يشمل هذا الارتباط بالمكان (Attachment to place) مركبات رمزية، عاطفية، فيزيائية ووظائفية بها جدلية مجسدة ومجردة. يكون التعامل مع المكان متعلقًا بماهيّة وكيفيّة العلاقة بين إحساس الإنسان نحوه، كَمُنتِج وصائغ لهويته الفردية والجماعية، بالإضافة لكون المكان حيّزًا استهلاكيًا يعيش الإنسان به.

هكذا يتجاوز المكان كونه حيّزًا محايدًا (neutral) تعيش به مجموعة من الأفراد، إلى حال به يصيغ هذا المكان الهوية الجماعية والانتماء الفردي والجماعي إليه. لتنمية وتعزيز هذا الانتماء، يقوم الفرد والجماعة التي ينتمي إليها بتحويله من حال التوصيف الجغرافي إلى التوصيف العقائدي. يعزَّز هذا التوصيف العقائدي بواسطة تبنّي روايات وسرديّات تراثية تاريخية، تحوّل مكانة المكان من حال جغرافي معاش به إلى حال عقائدي مقدس. يهدف إنتاج حالة التقديس هذه على المكان إلى امتلاكه وتخصيصه لجماعة ذات انتماء ديني، قومي وجيوسياسي ومحاولة نفيه عن آخرين يعيشون به.

إنّ امتلاك المكان لمجموعة انتماء عرقيّة أو قوميّة أو دينيّة أو ثقافيّة ونفي امتلاكه لجماعة أخرى تعيش وتنتمي إليه يؤجّج الصراع على المكان، حيث تستخدم مكانة وحال التقديس كمركّب رئيسيّ في الصراع. هذا جزء من سمات الصراع على فلسطين عامة والقدس خاصة، حيث يتحوّل المكان من حيّز جغرافي إلى حيّز ذي معانٍ أيديولوجية مقدّسة. بتحويل الصراع على المكان من حال جيوسياسي إلى حال عقائدي، يتحوّل الصراع على البلدة

القديمة في القدس ومحيطها إلى لبّ الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. لتأمين الغلبة الإسرائيلية، وقد نهجت السلطات الإسرائيلية الحكومية والبلدية على إنتاج رواية مقدسة تصاغ للمكان، وتنجز بواسطة مصفوفة ضبط ذكية ذات مركبات لينة وقاسية لبسط سيطرتها على القدس عامة وعلى البلدة القديمة، قلبها الحرم القدسي، ومحيطها بشكل خاص. ترجم هذا النهج الإسرائيلي إلى خطط وبرامج تطبيقية تنجز بواسطة منظومة تخطيط حيزي هيكلي مقونن وتوجيهي، منطلقة من، ومبنية على رؤية قومية دينية إثنية فوقية لخّصها قانون أساس- يعرف بقانون القومية 2018 في المبادئ الأساسية[2]: "3. *عاصمة الدولة: القدس الكاملة والموحدة هي عاصمة إسرائيل".*

سبق هذا القانون إقرار قانون أساسي: "أورشليم القدس عاصمة إسرائيل"، والذي أُقرّ في 30 تموز 1980 حيث أعلن في البند *"1. أورشليم القدس الكاملة والموحدة هي عاصمة إسرائيل"*[3]. حدد هذا القانون كذلك أدوات تطبيقه وحدود بلدية القدس الإسرائيلية الموسعة لتشمل حوالي 126 كم$^2$، بعد أن ضمّت إليها بلدية القدس الأردنية/ الشرقية، بما في ذلك البلدة القديمة ومحيطها، وأراضي من قرى فلسطينية في محافظة القدس مثل بيت حنينا، شعفاط وصور باهر، وبموجب هذا القانون أقرت حدود البلدية الإدارية، ومع ذلك بسطت

[2] https:/ / www.adalah.org/ uploads/ uploads/ %D9%82%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86%20%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B3-%20%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%88%D9%85%D9%8A%D8%A9.pdf

[3] https:/ / www.palquest.org/ ar/ historictext/ 9653/ %D9%82%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86-%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B3-%D8%A3%D9%88%D8%B1%D8%B4%D9%84%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3-%D8%B9%D8%A7%D8%B5%D9%85%D8%A9-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84

السيادة الإسرائيلية على الأرض/ المكان الموسع، من منطلق تثبيت السيادة والسيطرة على الجغرافيا، بينما تم تقليص عدد السكان الفلسطينيين بحيث حددت حدود البلدية من منطلق اعتبارات أمنية ديموغرافية، ومنحت مكانة "مقيم ثابت" للفلسطينيين المقدسيين، من منطلق أنهم مؤقتون[4].

هذا الفصل المُمَنهج بين مكانة المكان/ الأرض الثابتة، ومكانة الإنسان/ الفلسطيني المقدسي المؤقت، مرده إلى تطبيق أيديولوجية تثبيت السيطرة على الأرض تحقيقًا لرواية وادعاء عقائدي ديني بأنّ هذه الأرض منحت بأمر رباني بصفتها جزءًا من "أرض إسرائيل تابعة لشعب إسرائيل". تمّ تحقيق هذه الرواية باستخدام قوة الدولة الإسرائيلية التي احتلت الأرض وضمتها إليها بخلاف كل القوانين الدولية والأعراف الأممية، وعملًا بقاعدة أنّ الأرض لا تحتمل أن تكون فارغة بل يجب أن يتم إخضاعها لإشغال قومي/ إثنو- جيوسياسي ولاحقًا إقامة مستوطنات كجزء من مشروع كولونيالي احتلالي إحلالي هجين[5].

ولقد تمّ هذا الإشغال الجيوسياسي الكولونيالي بواسطة اتباع استراتيجية تطبيق مصفوفة ضبط مصدرها فكر عقائدي ديني استراتيجي أمني، مكونة من ثلاثة مركبات ومراحل: الإحاطة/ التطويق، التقطيع والتغلغل من أجل الإحلال. مورس تطبيق هذه المراحل في فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل، واستؤنف تطبيقها خلال 55 سنة من احتلال الأراضي الفلسطينية ويشمل الضفة الغربية والقدس الشرقية على وجه الخصوص. سبق إنجازها إعداد خطط إقليمية انطلقت من اعتبارات جيوسياسية وأمنية[6].

[4] Hazan Anna, 1995, Jerusalem Municipal Boundary 1948-1993. The Jerusalem Institute for Israel Studies, Jerusalem, pp:11-18.

[5] خمايسي راسم محيي الدين، 2022، التخطيط الحيزي والممارسة الاستعمارية الصهيونية في فلسطين، المستقبل العربي، العدد 525، السنة 45، ص. 45- 58.

[6] אריאלי שאול, 2017 , משיחיות על סלע המציאות מפעל ההתנחלות ביהודה ושומרון: חזון או אשליה,

في صورة مصغرة لممارسة تطبيق استراتيجية الإحاطة/ التطويق، التقطيع والتغلغل أعدت وأنجزت خطط في حدود بلدية القدس بواسطة إقامة حزام من المستوطنات الإسرائيلية؛ جزء منها داخل حدود بلدية القدس حسب التعريف الإسرائيلي مثل التلة الفرنسية، راموت، النبي يعقوب، جيلو، وتلبيوت ميزراح، وأخرى محيطة بها معاليه أدوميم، جبعات زئيف، كما أقيمت مستوطنات لتقطيع التواصل الحضري المقدسي مثل إقامة راموات اشكول. ولاحقًا تبعها التغلغل في الوجود الفلسطيني المقدسي لتقطيعه وإضعافه. هذا التغلغل يجري على قدم وساق حاليًا في البلدة القديمة ومحيطها، فيما يعرف بـ "الحوض المقدس" كتعريف أيديولوجي ديني للمكان، أو كما هو مُعَرّف جغرافيًا في هذه الورقة الحوض البصري؛ أي المنطقة المحيطة جغرافيًا وطوبوغرافيًا بالبلدة القديمة.

تهدف هذه الورقة الموجزة إلى رصد كيفية تحويل تعريف المكان من مفهوم جغرافي إلى أيديولوجي ديني، من خلال عرض ومناقشة حال الصراع الدائر للسيطرة على البلدة القديمة والحوض البصري المحيط بها كجزء من تطبيق استراتيجية التغلغل وبسط مصفوفة الضبط الإسرائيلية عليه لتغيير واقعه الديموغرافي والجغرافي والتراثي. بعد تعريف منطقة الدراسة، الحوض البصري، نقوم برصد واقعه الديمغرافي، الجغرافي، ملكية الأراضي وتسويتها واستخدام التخطيط الحضري، ويشمل ذلك تطبيق نظام التراخيص من قبل الدولة وبلدية القدس الإسرائيلية بشكل انتقائي وعلى أساس انتماء قومي/ إثني. نُتبع ذلك بعرضٍ ونقاشٍ نقديٍّ لعملية الرصد، ولاحقًا نقوم بعرض الإسقاطات، ونناقش التحديات الفلسطينية وتبعاتها على المقدسيين وعلى هوية المكان في مدينة القدس والاستقرار بها.

نعتمد في صياغة هذه الورقة وفي العرض والتحليل على المنهج الوصفي النقدي المقارن، معتمدين على أبحاث سابقة أجريت ومخططات أعدّت كذلك من قبل الكاتب، والذي

https:/ / www.shaularieli.com/ wpcontent/ uploads/ 2018/ 08/ %D7%94%D7%9E%D7%A9%D7%99%D7%97%D7%99%D7%95%D7%AA-%D7%A2%D7%9C-%D7%A1%D7%9C%D7%A2-%D7%94%D7%9E%D7%A6%D7%99%D7%90%D7%95%D7%AA-191117.pdf

يستخدم منهجية "الباحث كلاعب" بصفته "مخططًا فَعّالًا مقاومًا" يعمل في مجال التخطيط الحيزي في إسرائيل وفلسطين. كما أنّ الورقة تحاول أن تربط بين نظام وسياسات الأراضي (امتلاك وإدارة الأرض بما في ذلك مصادرتها بقوة الدولة الكولونيالية المحتلة)، وسياسات التخطيط وتبعاتها وإسقاطاتها على تسويات جيوسياسية، والتعامل مع حال الحوض البصري "المقدس" "التاريخي" وقلبه البلدة القديمة، على اعتبار أنّ الصراع العميق بين الإسرائيليين والفلسطينيين "يتقلص" ويبرز بالصراع للسيطرة على الأماكن المقدسة وقلبها الحرم القدسي الشريف. وهكذا أصبح الصراع الإسرائيلي الفلسطيني/ العربي يتمركز في الأراضي الفلسطينية، وتحوّل من "الصراع على باب المندب" إلى "الصراع على باب العمود"[7]. أي أصبح الصراع القومي يتقلص من المستوى الإقليمي والعربي، إلى البعد الوطني الفلسطيني والديني وتركيزه في البلدة القديمة المقدسية ومحيطها الحوض البصري "المقدس" عامة، وبشكل خاص على الحرم القدسي الشريف، ومنه ينطلق لتسويات جيوسياسية قطرية وإقليمية، إذا ما تمت تسويات وترتيبات فلسطينية إسرائيلية.

**مكان الحوض البصري/ الحوض المقدس: بين الجغرافي والعقائدي، ومفهومه التخطيطي**

إنتاج المكان والذي يشمل نسيج المدينة هو عملية متحركة ومتطورة، تتم بالاعتماد على عملية تطوير عضوية تنمو بالاعتماد على الأعراف وتقنيات البناء[8]، ولاحقًا بموجب تخطيط حضري حيزي حداثي، يسعى إلى إبراز الأفضليات النسبية والتنافسية من خلال التركيز على مشهد المدينة وخصوصيات المعالم والمشاهد المركزية التي توصف بها[9]. تسعى كل مدينة لأن يكون بها معلم مركزي ليكون عنوانًا شاهدًا لها وعليها. يتحوّل هذا المعلم في المشهد الحضري

[7] خمايسي راسم محيي الدين، 2021. احتجاجات ساحة باب العامود والصراع على الحيز العام في القدس. المقدسية، 11، ص: 113-146.

[8] خمايسي راسم محيي الدين، 2019. المدينة الإسلامية، المدينة في الإسلام: إشكاليات المصطلح، المضمون والسمات. Al-Qasemi Journal of Islamic Studies, volume 4, Issue 2. pp.53-88.

[9] Mumford, Lewis. 1996. What is a City? The City Reader, London.

ليكون البوصلة الموجهة لتخطيط وإدارة المدينة ورسم حركة تطورها الرمزي، الوظائفي، البنيوي، الاقتصادي وتوجيه حركة المواصلات بها وإليها[10]. هذا المعلم الطبيعي أو المُنشأ في حيّز المدينة يخصّها ويمنحها سمات تُمَيّزها عن مدن أخرى مثل الأهرام في القاهرة، برج إيفيل بباريس، قصر باكنغهام أو ساعة غرينتش في لندن، الكعبة المشرفة في الحرم المكي في مكة، الحرم النبوي في المدينة المنورة، قلعة حلب، الكولوسيوم في روما، الأكروبوليس في أثينا. تتشكل بعض المدن حول معلم مركزي لها، والبعض الآخر يُنتج عدة مراكز لتشكل معالم المدينة وذلك يشمل المعالم الدينية[11] أو العناصر البصرية والجمالية[12]. يعتمد مخطّطو ومصمّمو المدن في ابتكارهم للشكل ونسيج التصميم الحضري للمدينة على هذه المعالم والشواهد التاريخية في محيط المدينة ويبرزونها، أو ينتجون معالم جديدة مثل مبنى الأوبرا في سيدني، برج خليفة في دبي، مسجد الشيخ زايد في أبو ظبي. تشكّل هذه المعالم والشواهد عناصر بانية لهوية المدينة وترسم طابعها في الوعي بشأن انتماء المدينة وتبعيّتها الثقافية، الحضارية واتجاهات تطوّرها.

ونظرًا لأنّ المدن تتحوّل نتيجة لتطورات عضوية تراكمية، وأخرى متأثرة من تغيّرات جيوسياسية ديموغرافية نشأت بدعم احتلال أجنبي أو تغيّرات سوسيو-ثقافية داخلية، فإنّ ذلك يُحدِث خللًا في أولويات تطوّر المدينة، بما في ذلك تغيير معالمها إمّا بشكل مبرمج ومخطط

[10] Lynch, Kevin. 1981. A Theory of Good City Form. MIT Press, Cambridge.

[11] طاهر أسماء نيازي، العتابي مهدي صالح الفرج والعباسي زيد محمد قدوري، 2014. أثر المعالم الدينية في مخطط المدينة العربية الإسلامية: مدينة سامراء-حالة دراسية. المجلة العراقية لهندسة العمارة، المجلد 28، العددان 1-2، ص: 127 -147.

https:/ / uotechnology.edu.iq/ dep-architecture/ IraqiArchMagazine/ issues28/ 7.pdf

[12] عبد الحميد علي شعبان الفران هاني خليل. 2009. أهمية الخصائص والعناصر البصرية والجمالية في المدينة "دراسة تحليلية لوسط مدينة نابلس".

https:/ / staff.najah.edu/ media/ sites/ default/ files/ Visual_&_Aesthetic_Aspects_&_Elements_of_the_City_Analytical_Study_of_the_Centre_of_Nablus.pdf

لبعض هذه المشاهد، بحيث يتم إبرازها أو محاولة محوها، أو على الأقل بتحويلها من المركزية إلى الثانوية لتغيير هوية المدينة. نشهد هذا التغيير بشكل ملحوظ في المدن التي تعاني من صراعات جيوسياسية، سوسيو-ثقافية، هذا الصراع ربّما يؤدي إلى تقسيم المدينة، أو بسط مجموعة إثنية/ قومية قوتها على المدينة. تعمل هذه القوة المسيطرة الحكومية والبلدية على تغيير الشكل والنسيج، وتقوم باستخدام مصفوفة ضبط تشمل مركبات ناعمة مثل تخطيط وتصميم المدينة لإنتاجها، ولاحقًا باستخدام مركبات مصفوفة الضبط القاسية لترجمة المركبات الناعمة والعقائدية لإنتاج حيّز حضري مختلف يتناسب مع رواية وأهداف الدولة والمجتمع المُسيطر، وإن كان بالقوة، على المدينة.

أمّا الأدوات التي يقوم من خلالها مخططو/ مصممو ومديرو المدن لحفظ المشاهد الحضرية وإبرازها فتكون بواسطة إنتاج وصياغة وعي عام يمكّنها من تطبيق مخططاتها والتي تشمل خلق فراغات حيزية محيطة بالمعلم الحضري، وضبط التطور في محيطه. وممّا يساهم في تطبيق هذه الأدوات التخطيطية الحيزية في محيط المدينة، هو المبنى الفيزيائي/ الطوبوغرافي الذي تتموضع به المدينة بشكل عام أو المعالم والمشاهد المركزية بها. يؤثر هذا المبنى الفيزيائي على تطبيق الأدوات لحفظ وإبراز المشاهد الحضرية في محيط المدينة، مرتبطة بحال الصراع في المدينة وعليها. يصيغ هذا الصراع مدى التوافق والتماهي مع أدوات التخطيط الحيزية المشكِّلة للشكل والنسيج الحضري. في حال الصراع على هوية المدينة، وعدم التوافق على رواية أهداف التخطيط، فإنّ التّعامل مع أدوات التخطيط يتم بشكل سلبي ويؤدي إلى تطبيق سياسات إحلالية تسعى إلى تبديل حال الموقع/ الحيّز ليتناسب مع رواية المُحِل على المُحَلّ عليه الأصلاني، ممّا يساهم في تأجيج الصراع على المدينة كما هو الحال في القدس.

**الحوض البصري في القدس- تعريف جغرافي**

لكل مكان أو معلم ديني، تاريخي أو معماري، حيّز حضري يتناسب طرديًا مع مكانة هذا المعلم في الوعي والرواية المرتبطة على ما تشمله من مركبات تراثية وحتى أسطرة. هذه المكانة متأثرة من رواية أيديولوجية وسياسات امتلاك المعلم، ووضع توجيهات لمخططي، مصممي المدينة والمديرين الحضريين لإبرازه في محيط المدينة، أو استخدامه لغاية ضبط استخدامات الأراضي المحيطة به. يتعلّق السؤال المطروح بحجم امتداد هذا الحيّزوالضوابط التخطيطية/ الإدارية المُسقَطة والمفروضة عليه. في واقع مدينة القدس لا يختلف اثنان بأنّ المعلم الحضري الصائغ لمشهد وفضاء المدينة وتكوين شكلها ونسيجها العمراني والوظائفي هو الحرم القدسي البالغ مساحته حوالي 144 دونمًا، ومحيط القدس القديمة والّذي يشمل حوالي 900 دونم، المحاطة بسور القدس والذي يحتضن الحرم القدسي. هذا السور صاغه وأعاد تجديده وتحصين القدس القديمة كما هو حاليًّا، السلطان سليمان القانوني العثماني والذي دام حكمه بين 1520- 1566م.

تموضعت البلدة القديمة على رابية تشكّل لسان هضبة ممتدة من الشمال الغربي باتجاه الجنوب الغربي، محاطة بوديان من الجهة الشمالية الغربية والشرقية وتتّحد معًا جنوبًا في المنطقة المعروفة بسلوان اليوم، وتمتد شمالًا باتجاه منطقة سهلية، والتي تعرف باسم الجراحية حتى منطقة شمعون الصديق وكرم المفتي. يمتد الوادي الشرقي شمالًا حتى أرض السمار (التلة الفرنسية حاليًّا)، أمّا الوادي الغربي فيمتد حتى مقبرة مأمن الله (مميلا). تطل على منطقة البلدة القديمة سلسة جبل المشارف والزيتون، هذه السلسة تشكّل فصلًا بين منطقتين مناخيتين، شبه صحراوية ومعتدل شرق أوسطي. أثّر هذا المبنى الطبوغرافي على تكوين الشكل الحضري للقدس القديمة ومحيطها البصري، كما أنّ التكوين الجيومرفولوجي قد صاغ محيط الحوض البصري للقدس القديمة.

يمكن تلخيص تعريف الحوض البصري بأنّه يشمل الحيّز/ المنطقة التي منها يُمكِن أن تَرى أو يُرى المعلم الحضري في نسيج المدينة، وذلك يعني في حال البلدة القديمة المقدسية

الحيّز الذي يشمل كل الحيّز المحيط بها، ويمكن منه أن يرى المُشاهد البلدة القديمة دون أي حاجز ودون أن تكون منطقة مُغَطِية أو مُغطاة، أو ما تعرف بعلم الكرتوغرافيا/ علم رسم الخرائط "منطقة ميتة- منطقة ظل"؛ أو هي المنطقة المرئية من البلدة القديمة باتجاه أطرافها ورديفها. يشمل الحوض البصري منطقة محيطه بكل الاتجاهات (دائرة 365 درجة)، بدون معيق وحتى خط توزيع المياه من سفوح الجبال أو التلال المحيطة لتجري في الوديان المحيطة بالبلدة القديمة.

تُظهر دراسة تموضع القدس القديمة داخل السور أنّ شكلها الحضري صيغ متأثرًا بالطوبوغرافيا والتسويات التي جرت عليها لإقامة مبانٍ ومنشآت عمرانية ودينية، بما في ذلك طرق وأسواق متموضعة بها. كما أنّ وظيفة سور القدس ليس الغرض منه فقط الحماية (كما هو الأمر من الجهة الشمالية للبلدة القديمة)، بل له وظيفة دعم تسوية الأرض لتشكل مساحات منبسطة كما هو شأن ساحات الحرم القدسي، حيث أنّ ارتفاع السور من الجهة الجنوبية هو لإسناد ودعم المسجد القبلي/ المسجد الأقصى والمسجد المرواني، وذلك لأنّ الزاوية الجنوبية الشرقية هي أخفض نقطة في البلدة القديمة (ارتفاع 720 مترًا عن سطح البحر) مقابل أعلى نقطة (ارتفاع 785 مترًا عن سطح البحر) موجودة في الزاوية الشمالية الغربية للبلدة القديمة، بالقرب من باب الجديد.

**تحويل التعريف الجغرافي للمكان لتعريف عقائدي- الحوض المقدس**

يأخذ التعريف الجغرافي التخطيطي الوظائفي المحايد للحوض البصري في محيط البلدة القديمة بعدًا آخر عند نعته باسم "الحوض المقدس" حسب روايات تعتمد تأصيلًا دينيًا وتعريفات أثرية انتقائية. يخلق منح صفة القدسية لحيّز الحوض البصري إشكاليات في التعامل مع تخطيطه وتطويره، خاصة في حالة استخدام التقديس بشكل انتقائي لتغليب مجموعة دينية على أخرى وفي حالة الصراع على المدينة والوطن[13]. وفي حالة القدس، فإنّ

[13] Wendy Pullan & Maximilian Sternberg (2012) The making of Jerusalem's 'Holy Basin', Planning Perspectives, 27:2, 225-248, DOI: 10.1080/ 02665433.2012.646772

الصراع هو كذلك بين رواية يهودية توراتية صهيونية تؤسس لاستيطان كولونيالي من خلال عبرنة وتهويد الحيّز وبين حال تطوّر نسيج مدينة في واقع فيزيائي وتشكيل ديموغرافي يعيش في مكان ذي معانٍ قيمية خاصة لساكنيه وزائريه. يسعى هذا التقديس للمكان بالاعتماد على رواية انتقائية مُمَيزة، لوضع حالة الثبات على المكان، ولتطبيق مركبات رمزية من مصفوفة الضبط وتثبيتها في الوعي العام وترجمتها في الحيّز، من خلال تغيير حال مشهد الحيّز/ المكان الفيزيائي، الجغرافي والديموغرافي. يصيغ هذا التغيير حال المكان بموجب أيديولوجية تقديسه، وتُبرر أخلاقية تغييره لخدمة الدولة المسيطرة.

يعود استخدام مصطلح "الحوض المقدس/ الحوض التاريخي" إلى تسمية عقائدية دينية صيغت في إطار جيوسياسي،[14] وذلك بموجب الرواية التوراتية وما تبعها من اجتهادات أُطلق عليها اسم "إيرتس هكودش- الأرض المقدسة". بالاعتماد على ذلك واستكمالًا له، أُطلق على فلسطين خلال الحملات الصليبية وما بعدها اسم "الأرض المقدسة" (Holy Land)[15]. جاءت هذه التسمية بموجب التعريفات الغربية المسيحية والتي تتبنّى الرواية والعقيدة التوراتية، والتي صاغت حدودها بمجال سكن أسباط إسرائيل بموجب الرواية الدينية التاريخية

[14] اصطلاح أطلقه الإسرائيليون رسميًّا في مفاوضات الحل النهائي في كامب ديفيد سنة 2000، أمّا في المفاوضات التحضيرية وغير الرسمية فقد ظهر هذا الاصطلاح منذ أواسط تسعينيات القرن الماضي، ويقصد به المنطقة الجغرافية المحيطة بالبلدة القديمة، وقد يتسع مداها أو يضيق تبعًا للتطورات. وعلى الرغم من الموافقة الإسرائيلية المبدئية على معايير الرئيس الأميركي الأسبق كلينتون، والتي تقضي بتقسيم القدس تبعًا لانتشار وانتماء السكان، بحيث تصبح الأحياء الفلسطينية تابعة للسلطة الفلسطينية، والأحياء الإسرائيلية تابعة لإسرائيل، إلاّ أنّ المفاوض الإسرائيلي أصر على خصوصية منطقة البلدة القديمة وحوضها.

[15] Biger Gideon, 2022. Iconoclasm – A Geographical Viewpoint, European Review, Vol ume 30, Supplement S1, November, pp. S133-S143. https:/ / doi.org/ 10.1017/ S106279872200031X

اليهودية[16]. بينما تُعرف فلسطين لدى المسلمين بالأرض المباركة حسب التعريف القرآني[17] أو أرض الإسراء والمعراج دون تحديد حدود جيوسياسية متوافق عليها تُعَرّف حول المسجد الأقصى جغرافيًا؛ مع ذلك تمنح هذه التسمية في القرآن فلسطين عامة، ومحيط الحرم القدسي- المسجد الأقصى أبعادًا قِيَمِية خاصة ومتميزة في المعتقدات والفقه عند المسلمين. تُرجمت هذه التسمية الدينية حسب الأديان الموحدة الثلاثة (اليهودية، المسيحية والإسلامية) لكل فلسطين باعتبارها مقدسة/ مباركة خلال الحملات الصليبية والرحلات الاستكشافية الغربية إلى المحيط الجغرافي لكل فلسطين، ولاحقًا تم إطلاقها على محيط البلدة القديمة، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى واحتلال فلسطين من قبل بريطانيا وبسط الانتداب البريطاني عليها.

استخدم هذا الانتداب دوافع دينية لبسط سيطرته، وعمل على إجراء حفريات أثرية تنقيبية لفحص وإثبات الرواية الدينية التوراتية والمسيحية، بما في ذلك بالقدس. كما قام الانتداب البريطاني بإطلاق وتغيير أسماء لمواقع مستقاة من الرواية الدينية التاريخية. بالموازاة، قام الانتداب البريطاني بسنّ قوانين وإعداد مخططات هيكلية لضبط عملية البناء بموجب هذه القوانين والمخططات. لذا فإنّ تسمية "الحوض المقدس" وصبغ صفة القدسية على مكان هو نتاج رواية العقائد الدينية التي عرفت بها فلسطين، وقلبها القدس ودُرَّتها الحرم

[16] Biger Gideon, 2022. Iconoclasm – A Geographical Viewpoint, European Review, Vol ume 30, Supplement S1, November, pp. S133-S143. https:/ / doi.org/ 10.1017/ S106279872200031X

[17] مصدر التعريف بالأرض المباركة مأخوذة من الآية رقم 1 من سورة الاسراء والتي تنص: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنّه هو السميع البصير".

القدسي- المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة. تستوطن في حيّز البلدة القديمة أمكنة/ مبانٍ/ معالم دينية وتاريخية منحته قيمة التقديس[18].

كما تستوطن في محيط/ حوض البلدة القديمة مواقع مرتبطة بالبلدة القديمة منحت كذلك قيمة التقديس. بموجب هذه المكانة للمكان تم تعريف الحوض التاريخي في أدبيات الرحالة وزوار القدس، خاصة الاستشراقين والذين أطلقوا عليه تسمية"الحوض المقدس"(Holy Basin)، به تستوطن مواقع دينية مسلمة، مسيحية ويهودية محيطة بالبلدة القديمة، ولاحقًا تم التعامل معه بشكل مميز خلال فترة الانتداب البريطاني، وبعد احتلال القدس عام 1948. نُقل بهذا السياق عن دافيد بن غوريون قوله: "*أورشليم ليست شعفاط، بيت حنينا أو صور باهر، وأيضًا ليست أبو ديس، إلّا بالذات الحوض المقدس- جبل البيت والبلدة القديمة*"[19].

تسمية "الحوض التاريخي" أو "الحوض المقدس" وتخصيص التعامل معه أخذ دفعة وشيوعًا كجزء من وضع تسويات جيوسياسية إسرائيلية لمستقبل السيادة على القدس[20]،

[18] Welfare Association. 2004. Jerusalem Heritage and Life: The Old City Revitalization Plan. Jerusalem: chapter 2; pp/ 25-46

[19] يتسيك تشلر، 28.05.2006، وضعت اليد على كثير لم تقبض: اوهام وحقائق في القدس الكاملة. جريدة غلوبس https:/ / www.globes.co.il/ news/ article.aspx?did=1000096319 . حسب تشلر اقترح بن غورين هدم السور حول البلدة القديمة لدمجها مع محيطها وخلق تواصل مع باقي القدس.

[20] Ramon Amnon (ed.), 2010. The Historic Basin of Jerusalem Problems and Possible Solutions, the Jerusalem Institute for Israel Studies, Jerusalem. https:/ / jerusaleminstitute.org.il/ wp-content/ uploads/ 2019/ 06/ PUB_basin_eng.pdf.
Moshe Hirsh & Kobi Michael, 2003. International Involvment in the "Holy Basin" Area in Jerusalem: Analysis of Possible Options. The Jerusalem Institute for Israel Studies, Jerusalem.

وذلك بعد صياغة اتفاقيات مرحلية بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، والتي تعرف باتفاقيات أوسلو[21]. محاولة تعزيز وتمكين مصطلح "الحوض المقدس الحوض التاريخي" كانت مبيّنة في المخططات الهيكلية الرسمية والتوجيهية التي أعدّت للقدس خلال الفترة الانتدابية، وبعد احتلال القدس عام 1967، خاصة بمخطط هيكلي محلي رقم عم/ 9 والذي يشمل مكان البلدة القديمة ومحيطها[22].

ازدادت ترجمة الضوابط على الحوض البصري بعد تذويته في الخطاب واللغة التي طرحتها القانونية الإسرائيلية روت لبيدوت، وتبعها طاقم عمل في معهد القدس للدراسات الإسرائيلية والذي أنتج دراسات، سيناريوهات وخططًا لتحديد مجال الحوض البصري وركز على استخدام مصطلح "الحوض التاريخي والحوض المقدس" وحُدّد بموجب خرائط لاعتمادها في حال الوصول إلى تسوية جيوسياسية مع الفلسطينيين[23].

https://jerusaleminstitute.org.il/wp-content/uploads/2019/05/PUB_meuravbinl.pdf

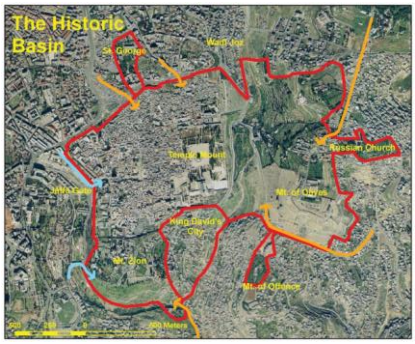


[21] https:/ / www.marefa.org/ %D8%A7%D8%AA%D9%81%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%A7%D8%AA_ %D8%A3%D9%88%D8%B3%D9%84%D9%88

[22] https://www.tabanow.co.il/ %D7%AA%D7%91%D7%A2/ %D7%99%D7%A8%D7%95%D7%A9%D7%9C%D7%99%D7%9D/ %D7%A2%D7%9E/ 9

[23] Amnon Ramon (ed.), 2007. The Historic Basin – Problems and Possible Solutions, The Jerusalem Institute for Israel Studies, Jerusalem (Hebrew).

أمّا مخطط هيكلي القدس 2000، والذي تم تصديقه للإيداع من قبل اللجنة اللوائية للقدس، وحتى الآن لم يصدق للتنفيذ، فقد وضع السياسات التخطيطية لما حدده تحت اسم/ تعريف "الحوض التاريخي" أو "الحوض المقدس"[24]. تُترجم هذه السياسات التخطيطية حاليًا إلى خطط تفصيلية إنجازية، وترصد موارد مالية لإنجازها بواسطة قرارات حكومية[25] كان آخرها القرار رقم 3788 والذي رصد مبلغ 350 مليون شاقل لإنجاز خطة خمسية 2019-2024 في الحوض التاريخي/ الحوض البصري/ الحوض المقدس.

بعد أن عرفت وحددت دولة إسرائيل حيّز الحوض التاريخي/ المقدس، وهو جزء من الحوض البصري للبلدة القديمة، صاغت إسرائيل خططًا منظمة، حتى لو لم يكن بعضها مُقرًّا رسميًا من قبل مؤسسات التخطيط، وبعضها توجيهية مطبقة من قبل جمعيات صهيونية مثل جمعية إلعاد، أو سلطة تطوير القدس التابعة لبلدية القدس. تتمّ هذه الخطط وإنجازها بواسطة صندوق أدوات تطبيقي، يتكوّن من عدد من الخطط والبرامج لتشكل فسيفساء متكاملة وجزءًا من مصفوفة الضبط، لإنشاء سلسلة إسرائيلية متصلة لتقطيع الوجود الفلسطيني وتطويق البلدة القديمة.

أما في الشمال، فقد تم التخطيط لتجريد مئات الفلسطينيين من منازلهم من الشيخ جراح وإقامة مستوطنات وحدائق مكانهم، من خلال وادي الجوز وخطة تغيير طابع الحي من خلال مبادرة تسمّى "وادي السيليكون"، ومنتزه "وادي تسوريم الوطني" في منطقة الصوانة

[24] https://www.jerusalem.muni.il/ he/ residents/ planningandbuilding/ cityplanning/ masterplan /
https://bimkom.org/ %D7%AA%D7%9B%D7%A0%D7%99%D7%AA-%D7%9E%D7%AA%D7%90%D7%A8-%D7%99%D7%A8%D7%95%D7%A9%D7%9C%D7%99%D7%9D-2000 /

[25] مثل قرار الحكومة الإسرائيلية رقم 4090 بتاريخ 9.8.205؛ وقرار رقم 4651 بتاريخ 20.5.2012، وقرار رقم 3799 بتاريخ 13.5.2018
https://www.gov.il/ he/ departments/ policies/ dec3788_2018#divFiles

على السفوح الغربية لجبل المشارف، وزرع المستوطنات في الشيخ جراح، شمعون الصديق، كوبانية أمّ هارون؛ تهويد المشهد والأنشطة في السفوح الغربية للطور وجبل الزيتون، مرورًا برأس العامود وبطن وادي الهوى، منطقة البستان، وادي حلوة ووادي ربابة، ضبط التطوير وتوطين مستوطنين صهيونيين في سلوان، إنجاز مشروع التلفريك، وتحديد مناطق أثرية، مقابر، محميّات طبيعية والتي تهدف إلى استكمال الاستيلاء على القسم الجنوبي من الحوض البصري ليشمل عين اللوزة ويمتد جنوبًا حتى السواحرة.

وتعدّ هذه الخطط والبرامج جزءًا من تطبيق استراتيجية التغلغل والسيطرة على محيط البلدة القديمة من خلال محاولات لإنشاء حلقة "خضراء" مدمجة في المستوطنات الصهيونية ومشاريع السياحة الاستيطانية حولها، والتي تظهر في الحيّز وتتقدّم بمراحل إنجاز متفاوتة. حصر التطوير في محيط البلدة القديمة المقدسية بواسطة حفظها كمنطقة مفتوحة خضراء، صيغت رؤيتها الأولى في المخططات الهيكلية التي وضعت للقدس في الفترة الانتدابية وطوّرتها السلطات الإسرائيلية لتشكّل أداة طيعة في مصفوفة الضبط لعبرنة الحيّز[26].

**بين مفهوم الحوض البصري، والحوض المقدس في المخططات الانتدابية**

تظهر مراجعة سريعة للمخططات الهيكلية التي وضعت في الفترة الانتدابية للقدس أنّ هناك مبدأ تخطيطيًا متكررًا في كل المخططات وهو إبقاء وحفظ محيط البلدة القديمة، خاصة الشرقي (سفوح جبل الزيتون/ المشارف حتى وادي الجوز، وادي النار/ كدرون)، منطقة مفتوحة يمنع التطوير العمراني فيها على اعتبار أنّها جزء من الحوض البصري- المقدس[27].

[26] فيلكوف شيرا ونيتسان-شيفتمن الونة، 2016. فرصة تاريخية: مشهد، رسمية ومنافسة على إقامة الحديقة الوطنية حول أسوار القدس، 1967 – 1969. كتيدرا، 163، صفحة: 163-190 (بالعبرية). https://www.ybz.org.il/ _Uploads/ dbsAttachedFiles/ 6_Wilkof-Shaftan_Cat-163_LR.pdf

[27] Kimhi Israel. 2009. The History of Planning Jerusalem 1918-2008. In: Meiron Eyal and Bar Doron, (eds). 2009. Planning and Conserving: The Challenge of an Ancient City. Yad Izhak Ben-Zvi. Jerusalem. pp. 14-31

ينطلق تطبيق هذا المبدأ التخطيطي الحيزي من مفهوم جمالي، ومن مفهوم عقائدي يعتمد على تناقل رواية/ معتقد ديني أنّ المسيح/ المهدي المنتظر ربّما سيعود ويأتي إلى القدس من الشرق. تطبيق هذا المعتقد في المبنى الفيزيائي المحيط بالبلدة القديمة كان جزءًا من إنتاج تخطيطي توجيهي يضبط التطوير في محيط البلدة القديمة خاصة من الشرق، حيث أنّ وجهة/ ميلان البلدة القديمة هي باتجاه الجنوب الشرقي تنظر وتشرف باتجاه جبل الزيتون/ المشارف وجبل المكبر/ أرمون هنتسيف جنوبًا.

بدأت عملية تطبيق تخطيط القدس تتماهى بين مفهوم الحوض البصري والحوض المقدس مع احتلال القدس وتعيين الحاكم العسكري الانتدابي رونالد ستورس. شكّل هذا الاحتلال الكولونيالي حقبة جديدة في ضبط تطور القدس بموجب تخطيط رسمي. أوّل قرارات ستورس التخطيطية كان تحديد حزام أخضر حول السور من الخارج، ودعى المهندس وليام مكلين لإعداد مخطط للقدس 2018. وضع هذا المخطط التوجيهي ضوابط على تطوير محيط البلدة القديمة وخاصة من الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية ووضع التوجيهات التخطيطية التالية:

- تحظى البلدة القديمة بالحفاظ عليها لأنّها نواة تُملي الطابع الديني والفريد للقدس. ووفقًا للخطة، لن يكون البناء في البلدة القديمة ممكنًا إلّا بتصريح خاص.
- تُخصَّص المساحات المحاذية لسور البلدة القديمة كساحات عامة مفتوحة، وتُزال كل المباني المحاذية للسور.
- المنطقة الشمالية الشرقية للبلدة القديمة، وتشمل جبل الزيتون/ المشارف، تحسب كمساحات ذات تميز ديني وروحاني، ويمكن البناء بها بموجب إذن خاص فقط.
- المنطقة غربي البلدة القديمة، وعلى امتداد طريق يافا، تشكل هدفًا لتطوير مستقبلي عصري/ حداثي.

واجه هذا المخطط انتقادات لكونه لم يدخل بتفاصيل تطبيقه، ممّا دفع لإعداد مخطط معدّل من قبل المهندس باتريك غدس 2019، ولاحقًا تم إعداد مخطط أكثر تفصيليًا من

قبل باتريك غدس وتشارلز اشبي عام 1922، وتبعه مخطط تعديلي تطويري أعدّ للقدس من قبل المهندس كليفورد هوليدي تم إقراره عام 1930 (أُنظر شكل 1).

شكّل هذان المخططان مصدر صياغة لما يطلق عليه الحوض المقدس/ التاريخي، استمرارًا لما سبقهم وما لحقهم من المخططات الهيكلية. تبنّت هذه المخططات موقف غدس الذي قدّس مكانة البلدة القديمة كمركز ذي أهمية روحانية وتاريخية، ولذلك فهي المكان الذي يستحق الحفاظ عليه، وأضاف إليها المساحة غير المبنية المحيطة بالبلدة القديمة. تبنّت أمانة القدس العربيّة المخطط الهيكلي الذي أعدّ للقدس الأردنية/ الشرقية من قبل المهندس هنري كندل[28] بعد تقسيمها، وحافظت على مبدأ إبقاء الحزام الأخضر حول البلدة القديمة، ولكن قلّصت الحوض البصري لمنطقة وادي النار، وسمحت بالتطوير السكني على السفوح الغربية لجبل الزيتون/ المشارف، بما في ذلك في جنوب البلدة القديمة/ منطقة سلوان، الثوري وراس العامود.

أصبحت المخططات الهيكلية التي أعدّت للقدس خلال فترة الانتداب مصدر إيحاء لتخطيط البلدة القديمة ومحيطها، وتم ضبط التطوير بموجبها، خاصة في الأحياء الحديثة التي نشأت وتطوّرت خارج السور من الجهة الشمالية والغربية، بينما بقيت القرى من الجهة الجنوبية تتطور بشكل عضوي وبدون تخطيط مبادر ملزم. أصبح هذا التطور القروي جزءًا من الحوض البصري. أمّا الجزء المديني (حي الشيخ جراح، محيط شارع صلاح الدين، المصرارة، شارع يافا، محيط مقبرة مأمن الله والبقعة ويمين موشى بجانب وادي السلطان)، فإنّ محطة سكة الحديد والثوري في ظهير الحوض البصري، وفقط أطرافه الجنوبية والشرقية المحاذية للبلدة القديمة هي جزء من الحوض البصري.

[28] Kendall Henry. 1948. Jerusalem City Plan. Her Majesty's Stationery. Landon.

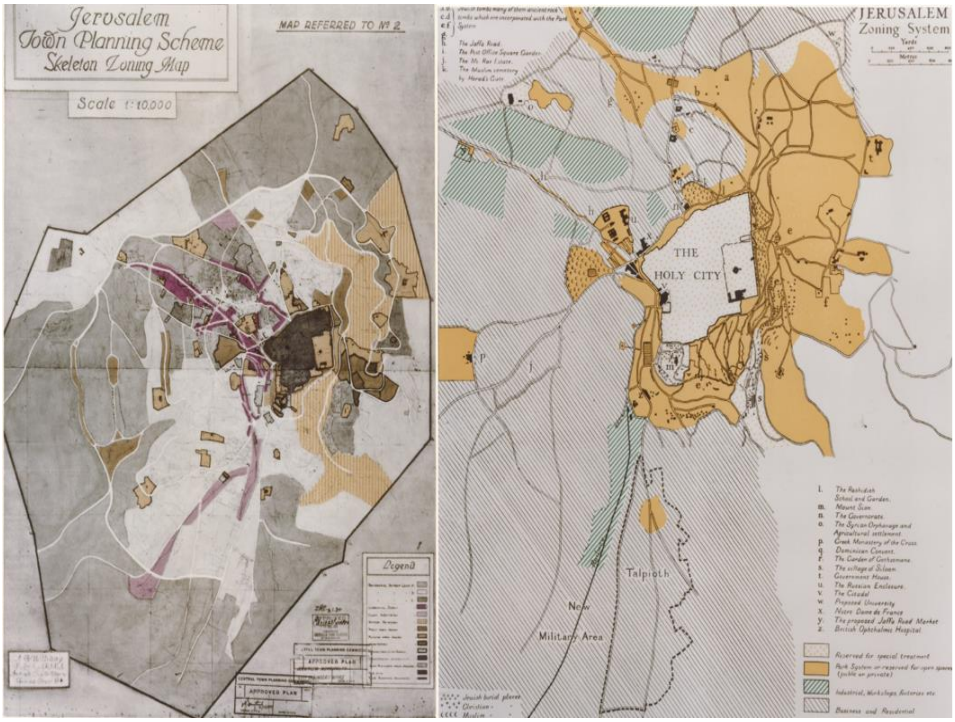


شكل رقم 1: مخطط باتريك غدس وتشارلز اشبي 1922 (من اليمين)، ومخطط كليفورد هوليدي 1930 (من الشمال) وتظهر بهما المحددات على البناء والتطوير حول البلدة القديمة وتشمل الحوض البصري من جهتها الشرقية والجنوبية.

**استخدام الموروث الانتدابي لتثبيت المخططات الإسرائيلية على الحوض البصري**

وضع التخطيط الانتدابي الأسس لسياسات التخطيط الإسرائيلية بما في ذلك في القدس وفي محيط البلدة القديمة وحوضها البصري. بادرت إسرائيل بعد احتلال القدس الشرقية وضمها للقدس الغربية وإلغاء بلدية القدس العربية عام 1967 لإعداد مخطط لمحيط البلدة القديمة يعدل المخطط الهيكلي الأردني، يحل محله ويحدد سياسات التخطيط واستخدامات الأراضي، خاصة في محيط الحوض البصري (انظر شكل 2). تُظهِر مقارنة المخططات الانتدابية، الأردنية والإسرائيلية التشابه بين منطلقات المخططات الهيكلية الانتدابية والإسرائيلية، بينما المخطط الأردني قلّص الضوابط في محيط الحوض البصري ومَكَّن

التطوير مع أنّه حافظ على مبدأ حفظ حزام أخضر حول السور في الوادي المحاذي من الشرق والغرب.

بعد احتلال القدس الأردنية، والتي شملت حوالي ستة آلاف دونم شملت البلدة القديمة ومحيطها، باشرت بلدية القدس ووزارة الداخلية الإسرائيلية بإعداد مخطط هيكلي محلي عام 1970 ليضبط استخدامات الأراضي ويحدّ من التطوير الفلسطيني، بحيّز بلغت مساحته حوالي 10800 دونم شمل البلدة القديمة ومحيطها. صودق على هذا المخطط للتنفيذ عام 1976، وحلّ محل كل المخططات السابقة[29] التي تتناقض مع الاستخدامات المقترحة، وأبقِي على المخطط الهيكلي للقدس (تعديل) 1943، رقم 688 والذي يتلاءم مع أهداف مخطط هيكلي محلي رقم عم/ 9. وضع مخطط عم/ 9 أسس الضبط على التطوير والبناء في الحوض البصري واستُخدم كمركب بمصفوفة الضبط، وذلك بتحديد مناطق محفوظة يمنع التطوير الفلسطيني بها.

ما زال مخطط عم/ 9 ساري المفعول على منطقة الحوض البصري رغم مرور أكثر من 46 عامًا على تبنّيه وإقراره من السلطات الإسرائيلية. خلال هذه الفترة منذ تصديق المخططات الانتدابية والإسرائيلية جرت تغييرات وحدثت تطورات في الحوض البصري، لكن هذه المخططات تتجاهلها وتتعامل معها كأنّها غير مرئية، باستثناء مخططات تفصيلية تسعى لتغيير مخطط عم/ 9، وبالأساس مخططات تفصيلية تسعى لتهويد الحيّز تطبيقًا لاستراتيجية التغلغل وإحاطة/ تطويق البلدة القديمة وتقطيع الوجود الفلسطيني في محيط البلدة القديمة، بعد أن طبّقت هذه الاستراتيجيات بمحيط القدس، وتطبيق مصفوفة الضبط على المستوى الإقليمي والمديني، وحاليًا يجري في الحوض البصري، بعد استخدام موروث التخطيط الحيزي ونظام الأراضي الانتدابي، وملاءمته للأهداف الإسرائيلية.

[29] https:/ / apps.land.gov.il/ IturTabotData/ takanonim/ jerus/ 1008681.pdf

شكل 2: المخطط الهيكلي الأردني للقدس 1960 (من الشمال) والمخطط الهيكلي الإسرائيلي عم/ 9 الذي صودق عليه رسميًّا عام 1976، وشمل البلدة القديمة ومحيطها بما في ذلك الحوض البصري (من اليمين)

**مركبات مصفوفة الضبط المستخدمة في الحوض البصري**

تقوم الحكومة الإسرائيلية، سلطات البلدية، ومؤسسات يهودية صهيونية شبه رسمية وجمعيات صهيونية متديّنة بتقاسم الأدوار، لتطبيق مصفوفة الضبط التي تحقّق الرواية، العقيدة والسيادة الصهيونية على المكان في البلدة القديمة وحوضها، كما صاغتها وطبّقتها بمجمل الأراضي الفلسطينية المحتلة، وفي محيط القدس الشرقية، بما في ذلك في البلدة القديمة وحوضها البصري، آخذين بعين الاعتبار خصوصية كل مكان لملاءمة مركبات مصفوفة الضبط مع حال المكان ووضع مبررات قيمية، أخلاقية، دينية، أثرية، وظائفية، اقتصادية وجيوسياسية لبسط السيطرة باستخدام سياسات وأدوات التخطيط الحيزي الرسمي. تبدأ هذه المصفوفة بإنتاج مسمّيات اصطلاحية تعريفيّة للمكان منطلقة من رواية دينية عقائدية تراثية تسعى لتغيير تعريف وحال المكان في الوعي العربي الفلسطيني. نحاول فيما يلي تلخيص هذه المركبات.

## 1. مكانة الأراضي والمكان

صاغت إسرائيل الرسمية وقلبها العميق وفقهاء الفكر والقانون بها لغة وخطابًا وضعا مكانة للأراضي الفلسطينية في القدس على أنّها ليست محتلة، بل هي مدارة ولاحقًا تم ضم جزء منها قسريًا تحت السيادة الإسرائيلية وأقرّتها بموجب قوانين أساس إسرائيلية مثل قانون القدس 1980 وقانون القومية 2018. بموجب هذه القوانين أصبح المقدسي الفلسطيني مؤقّتًا حسب نظام الأراضي ومكانة الشخص[30].

أمّا الشعب اليهودي والأفراد المنتمون إليه هم الثابتون، بعد أن عادوا إلى الأرض المقدسة حسب روايتهم، ولهم بها حق مكتسب. هذا الحق منطلق من القداسة الدينية التوراتية، وحاليًا بُعثوا ليستأنفوا السيطرة عليها وتطبيق حق امتلاكها، استيطانها، إدارتها لصالح الإسرائيليين، والتعامل مع الوجود الفلسطيني الأصلاني كمعيق يجب إدارة تحجيمه، ولربما إزالته وتقليص الصراع معه. تُرجمت هذه المكانة للأراضي في الوعي، السلوك والسياسات المطبقة إلى خطط وبرامج عمل منطلقة من مفهوم الحماية وتوفير الأمن الشخصي والجمعي بمفهومه الواسع لدى الإسرائيليين.

خلقت هذه المكانة ازدواجيات، ثنائيات وتناقضات في مرجعيات التعامل مع الواقع المُتغيِّر والمُغيَّر بمبادرات إسرائيلية، كذلك في القدس عامة، والبلدة القديمة وحوضها البصري بشكل خاص، لتشكيل وهندسة وعي جمعي يهودي، صهيوني وعبراني بأنّ إسرائيل "صاحبة البيت" على المكان، وأنّ الفلسطينيين المقدسيين هم ساكنون غير محميون إلّا بما يتوافق مع المصلحة الإسرائيلية. شملت هذه المبادرات تطبيق سلطة وعنف الدولة، وتوظيف المؤسسات الصهيونية العالمية والمحلية، مؤسسات المجتمع المدني والقطاع الخاص لخدمة أهداف الدولة ومشروعها الاستيطاني. كانت ترجمة هذه المكانة من وجهة

[30] خمايسي راسم محيي الدين. 2022. إسقاطات حال المؤقت على المقدسين الفلسطينيين. قضايا إسرائيلية، عدد 88، ص: 9- 24.

نظر إسرائيلية برفض إسرائيل تطبيق قرارات دولية ومواثيق أُممية[31] ؛ رفض إقرار مصطلحات ترتبط بالاحتلال والاستعمار ونحت قاموس مصطلحات، لغة وخطاب، حتى تخطيطي، إمّا "حيادي" أو مسخر ليخدم مشروعها المُكوَّن والمُشكَّل ليُحكِم السيطرة على واقع ومستقبل الأراضي الفلسطينية والمكان في الحوض البصري المقدسي.

كقسم من السيطرة، تُفرض مرجعيات ومؤسسات إسرائيلية يضطر أن يتعامل معها الفلسطينيون المقدسيون، مثل نظام المحاكم، نظام الأراضي ومؤسسات التخطيط الحيزي المقونن، والذي لا يوجد به أي تمثيل وحضور فلسطيني مقدسي ولا يمثل المصلحة الفلسطينية ولا يأخذ بعين الاعتبار، في غالب الأمر، الرواية والأعراف الفلسطينية المحلية السائدة. هكذا فإنّ مكانة الأراضي منطلقة من الرواية والعقيدة الدينية القومية اليهودية الصهيونية، وبموجب هذه المكانة تمنح المكانة للمكان بوضعية تحت صفة وحال التقديس لامتلاكه.

**2. ثنائية مكانة المكان والإنسان**

كجزء من تغيير المكانة كان الفصل بين مكانة الأرض/ الأرض ومكانة الإنسان، على اعتبار أنّ المكان/ الأرض "ثابت/ ثابتة" والإنسان/ السكان "متبدل/ متغير". شملت ازدواجية/ ثنائية المكانة والفصل بين المكان والإنسان، منح حق المواطنة الإسرائيلية والإقامة الكاملة لكل المستوطنين الإسرائيليين الذي يسكنون في الأراضي الفلسطينية المحتلة والتي ضُمّت وأصبحت خاضعة لسيادة دولة إسرائيل الرسمية بقرارها المخالف للشرعية الأممية والمواثيق والقوانين الدولية. بينما أبقت إسرائيل الفلسطينيين المقدسيين بدون تحديد مواطنة، بل منحتهم مكانة "مقيم ثابت" في وطنهم رغم أنّهم سكان أصليّون ومحتلون بموجب القانون والمواثيق الدولية. تخلق المكانة الممنوحة رسميًا للمقدسيين الفلسطينيين

[31] على سبيل رفض تطبيق قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 446 الصادر يوم 22.3.1979، وقرار رقم 2334 الصادر يوم 23.12.2016 واللذان يؤكدان قرارًا سابقًا ولاحقًا بأنّ المستوطنات الإسرائيلية المقامة في الأراضي الفلسطينية بما في ذلك القدس الشرقية هي غير قانونية وغير شرعية

تمييزًا بنيويًا، مؤسساتيًا ورسميًا بينهم وبين الإسرائيليين الذين أصبحوا يشاطرونهم نفس المكان والأرض قسرًا. كما أنّ على الغالب هذه المكانة للإنسان الفلسطيني تضعه في حال مستهلك للحيز وغير منتج له، غير مشارك ومتشارك في إنتاج وصياغة القرار السياسي لأنّه لا يمتلك حق الانتخاب القطري، نتيجة لمكانته المشوهة والمتجزّأة. كما أنّ هذه المكانة تقلص امتلاكه للحيّز العام ومشاركته في إنتاجه وإدارته. بالإضافة لذلك فإنّ هذه المكانة للإنسان تهدد حتى امتلاكه للأراضي الخاصة، إذا ما تم تعريفه بموجب حارس أملاك الغائبين بأنّه غائب، أو غائب حاضر، أو أنّه لا يُثبت لدولة إسرائيل بأنّ مركز حياته في القدس.

لا يتمّ تحديد مكانة الإنسان الفلسطيني بموجب حق مكتسب للإنسان الفلسطيني في أرضه بل هو مشروط بشروط تصيغها الدولة بموجب قوانين تفرّق وتميّز بين الإسرائيلي/ اليهودي وبين الفلسطيني المقدسي، ممّا يهدد مكانة حقه بامتلاك المكان/ الأرض. تُمكِّن هذه المكانة السلطات الإسرائيلية من مصادرة أراضي وأملاك المقدسيين، وتحول من منحهم رخص بناء، ممّا يدفعهم للبناء دون ترخيص، ممّا يهددهم بغرامات عالية وتطبيق عقاب الهدم.

من تبعات الفصل بين مكانة الإنسان والمكان تطبيق نظام الأراضي، بموجبه تم تقسيم الأراضي/ المكان إلى تقسيمات حسب نظام ملكية الأراضي، وبموجبه امتلكت الدولة رقبة معظم الأراضي الفلسطينية المقدسية العامة، والتي سجلت باسم الدولة وشملت أراضي الأموات، المتروكة والأميرية حسب نظام الأراضي العثماني، الانتدابي البريطاني، الأردني ودخول إسرائيل في نعل هذه الأنظمة وسيطرتها على الأرض وتخصيصها لمن تشاء ليخدم مصلحتها ويحقق برامجها ومخططاتها. شكّلت سيطرة إسرائيل وَ/ أو بلدية القدس على الأرض أساسًا لتسهيل عملية تخطيط الحيّز وإقامة مستوطنات إسرائيلية صهيونية بها للتغلغل في فضاء المجتمع الفلسطيني المقدسي ليتغلغل به، يطوّقه ويشرذمه. استمرار السيطرة الإسرائيلية على البلدة القديمة وحوضها البصري، يمكّن من استمرار

تخطيط وإنجاز التغيير الديموغرافي لصالح الإسرائيليين وهيمنة الرواية والحضور الصهيوني في الحيّز/ المكان.

### 3. ذبذبة في تحديد حدود الحوض البصري بموجب مفاهيم عقائدية

تظهر مراجعة سريعة للقرارات الحكومية والبلدية، الخرائط، المخططات الهيكلية والقطاعية والتقارير الأثرية، وحتى اقتراحات تسوية الصراع على القدس، أنّ هناك تذبذبًا واختلافًا وعدم توافق بتحديد حدود الحوض البصري- المقدس/ التاريخي. تترنّح هذه الحدود التي تصف الحوض البصري وتتنوع بين أولئك الذين يشيرون إلى أنّ الحدود يجب ألّا تتجاوز حدود السور والمحيط المتاخم له، وبين حدٍّ يربط رؤوس الجبال والتلال المطلة على البلدة القديمة وتشرف عليها أو ما تعرف بخط انقلاب المياه السطحية. هذا التذبذب ليس عفويًا أو إجرائيًا، بل تتعامل معه مصفوفة الضبط المعمول بها في القدس الشرقية عامة وفي محيط الحوض البصري، لإبقاء حالة ضبابية تمكّنها من طرح بدائل حدودية تمارس بها سياسات الضبط والممانعة على التطوير الفلسطيني بحجة أنّ المنطقة أو قطعة الأرض المطلوب التطوير بها تقع بمجال الحوض البصري.

كما أنّ إبقاء الحدود مفتوحة وراشحه تمنح القوة المسيطرة (الحكومة الإسرائيلية وبلدية القدس وجمعيات صهيونية في سياقنا) حرية الحركة وعدم الالتزام بمعايير واضحة، بل تعمل بموجب مبدأ الكيل بمكيالين أو فرض مزاجيات شخصية أو قطاعية في اتخاذ وصياغة القرارات. تشمل الذبذبة في تحديد مجال الحوض البصري على الأقل ثلاثة أبعاد: 1. تحديد حدود الجغرافيا للمكان والوظائفية التي يؤديها وملكية الأرض بها، 2. الديموغرافيا والتي تشمل التحولات والاتجاهات الديموغرافية الإثنية/القومية والثقافية، 3. الأرخيئلوجيا والتي تشمل الحفريات والاكتشافات الأثرية المعتمدة والمستخدمة لتثبيت رواية التقديس والتخصيص. الدمج بين هذه الأبعاد الثلاثة في ظل استخدام قوة وعنف الدولة، يمكّن سلطاتها الحكومية والبلدية من تحديد حدود متنوعة للحوض البصري، ووضع الضوابط على التطوير في الحيّز الجغرافي الفلسطيني، ونهج سياسات سكانية

وإسكانية تقلّص الديموغرافيا الفلسطينية، والسيطرة على الأرض/ المكان والرواية بواسطة الإعلان عن الموقع كمكان أثري مقدس أو محفوظ يمنع التطوير به.

### 4. المناطق الأثرية والمحميات الطبيعية

المناطق الأثرية والمحميات الطبيعية والمناطق الخضراء غير محايدة في محيط الحوض البصري، بل هي وسائل مجندة في خدمة مشروع الكولونيالية[32] والسيطرة الإسرائيلية المطبقة لمصفوفة الضبط، وتستخدم أدوات في إنجاز استراتيجيات الإحاطة، التقطيع، التغلغل والإحلال في حيّز الحوض البصري[33].

كتب في هذا السياق الجعبة (2009)[34] "*وفي الحقيقة فإنّ ما يسمّى "الاستكشاف الأثري" الذي يدور الآن ما هو إلاّ جزء لا يتجزأ من حملة سياسية واسعة النطاق تجتاح منطقة القدس ضمن مخطط وُضع مسبقًا، ومن أعلى المستويات، وبشكل علني، إذ يتركز النشاط "الأثري" في المنطقة التي تسمى "الحوض المقدس"، أو "الحوض التاريخي"، وهي المنطقة التي تضم البلدة القديمة ومحيطها، بالإضافة إلى السفوح الغربية لجبل الزيتون، وسلوان، ووادي حلوة، وحي البستان، ووادي الربابة، وتمتد إلى الشيخ جراح شمالًا. وقد*

[32] Bluwstein Jevgeniy.2021. Colonizing landscapes/ landscaping colonies: from a global history of landscapism to the contemporary landscape approach in nature conservation. Journal of Political Ecology 28(1), file:/ / / C:/ Users/ user/ Downloads/ Colonizing_landscapeslandscaping_colonies_from_a_g%20(1).pdf

[33] Stokes Jole, 2022. "Silence," Heritage, and Sumud in Silwan, East Jerusalem, Jerusalem Quarterly 91, pp. 105 – 120.

Braverman Irus. 2019. Nof Kdumim: Remarking the ancient landscape in East Jerusalem's national parks. Environment and Planning E: Nature and Space 4, (1). pp. 109-134. https:/ / doi.org/ 10.1177/ 2514848619889594

[34] الجعبة نظمي، 2009؛ القدس بين الاستيطان والحفريات، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 20، العدد 79 (صيف 2009)، ص 39 https:/ / www.palestine-studies.org/ sites/ default/ files/ mdf-articles/ 10395.pdf

*طالبت إسرائيل مرارًا بالسيطرة الكاملة والحصرية على هذه المنطقة ضمن مفاوضات الحل النهائي".*

يشكل الصراع على الآثار جزءًا مركزيًا من الصراع على الرواية الصائغة لامتلاك المكان وتبعيّته لذلك نشهد هناك نشاطًا متزايدًا. كان لعلماء الآثار الأوائل الذين جاءوا للتنقيب في القدس دافع ديني، للكشف عن مدينة العصور التوراتية، بدءًا من عالم الآثار البريطاني تشارلز وارن، الذي حفر مهاوي عمودية بالقرب من الحرم القدسي وفي قرية سلوان في منتصف القرن 19، ومرورًا بعلماء الآثار الفرنسيين والأمريكيين والبريطانيين وغيرهم. بالنسبة لهم، علم الآثار هو وسيلة لكشف القدس الحقيقية. في المقابل، لطالما اعتبر الفلسطينيون الأبحاث الأثرية الغربية ذراعًا إمبريالية تهدف إلى تقويض الوجود الإسلامي في القدس عامة، والحرم الشريف والحوض البصري خاصة.

منذ احتلال إسرائيل للحوض التاريخي عام 1967، احتل علم الآثار مكانًا مهمًا في بناء الهوية اليهودية الإسرائيلية. في هذا السياق، أشار باحث الآثار مايكل آفي يونا إلى أنّ غزو/ تحرير القدس كان فرصة لإثبات العلاقة التاريخية للشعب اليهودي بالمدينة. ابتداءً من منتصف 1990، انتقل علم الآثار نحو الاستراتيجية المركزية لوضع السيطرة الإسرائيلية على الحوض التاريخي. أوّل من حدد هذه الإمكانية كانت جمعية إلعاد[35] التي استقرت في قرية سلوان، والّتي تسعى جاهدة بدعم مصادر تمويل سخية من التبرعات الخاصة والدعم

[35] جمعية إلعاد: منظمة يهودية صهيونية يمينية خاصة غير ربحية. بدأت نشاطها في أواخر سنوات 1980، كمنظمة هدفها الاستيلاء على منازل السكان الفلسطينيين في سلوان وتوطين اليهود هناك. في البداية، تم قبول الجمعية من قبل الجمهور والسياسيين الإسرائيليين (بما في ذلك اليمين) كمجموعة هامشية خطيرة. بعد ذلك، تحولت إلعاد إلى دافع التطوير الأثري والسياحي في الحوض البصري، وخاصة منطقة سلوان والبلدة القديمة. وفي عام 2002 تولت إدارة "مدينة داود". منذ ذلك الحين، تقوم "إلعاد" بتطوير الموقع من خلال التنقيب الأثري بدعم مالي حكومي وصهيوني سخي.

الحكومي لتعزيز قصة الملك داود ورواية العودة إلى مسقط رأس الشعب اليهودي في القدس.

تقوم جمعية إلعاد بدعم حكومي وبلدي باستقطاب وجذب مئات الآلاف من الزوار- الإسرائيليين والسياح - الذين يأتون إلى الموقع كل عام، يتعرضون لسرد تاريخي ضيق موجّه، متجاهلين آلاف السنين من الشعوب والثقافات المتنوعة، وخاصة الحضارة العربية الإسلامية التي عاشت وبنت في القدس وتركت بصماتها على علم الآثار وطبقات تشكيل المدينة بفترات زمانية تتجاوز الخمسة عشر قرنًا. إنّ القيمة التي توجّه تطوير وعرض مدينة داود والحوض التاريخي قد صرّح بها رئيس بلدية القدس نير بركات بشكل لا لبس فيه: "*أريد أن أسمح لليهود وغير اليهود بإعادة إنشاء هذه التجربة. أي شخص يريد أن يغطس (في بركة سلوان) ويصعد إلى الطابق العلوي نحو تجربة جبل الهيكل، من يفعل ذلك يعرف بالضبط من يملك البيت في هذه المدينة* "[36].

لإنجاز مصفوفة الضبط بواسطة استخدام الإعلان عن المواقع الأثرية، وممارسة "الاحتلال والاحتلال الأخضر"، متمثلًا بالإعلان عن مناطق مقابر، محميات طبيعية وجنائن وطنية/ قومية، تقوم مؤسسات إسرائيل بالعمل بالتنسيق وبتقاسم الأدوار وتكاملها من أجل تحقيق استراتيجيات الإحاطة، التقطيع، التغلغل والإحلال في حيّز الحوض البصري. على رأس هذه المؤسسات الحكومة الإسرائيلية متمثلة بوزاراتها المختلفة، وكذلك بلدية القدس، جمعية إلعاد، سلطة الآثار، سلطة حماية الطبيعة والحدائق الوطنية، سلطة تطوير القدس، سلطة أراضي إسرائيل وصندوق حائط البراق/ المبكى.

يمكن تلخيص تقسيم النشاط الإسرائيلي في الحوض البصري/ التاريخي إلى أربع نقاط محورية رئيسية: 1. إنجاز حفريات ومشاريع أثرية حول جبل الحرم القدسي الشريف، بما في ذلك حفر الأنفاق تحت الحي الإسلامي، والبناء في ساحة الحائط الغربي، وتطوير موقع "مركز ديفيدسون" السياحي في سلوان جنوب الحرم القدسي. 2. نشاط سياحي-أثري-

[36] حسون نير، أصحاب البيت في القدس مرة أخرى يحفرون. جريدة هآرتس 20.02.2017 (بالعبريه).

استيطاني واسع النطاق في حي سلوان جنوب البلدة القديمة. إلى جانب الجهود التي لا نهاية لها لتوسيع مستوطنة سلوان فوق الأرض وتحتها، تشارك المنظمة مع السلطات الإسرائيلية في تطوير المراكز السياحية والتجارية، والتركيز المفرط على الرواية اليهودية، وتغيير المعالم والإعلان عن مناطق محميات طبيعية وحدائق وطنية. يتم حفر الأنفاق باستمرار في سلوان تحت منازل القرية ومن المخطط بناء محطة تلفريك هناك، كما يتم ضم المناطق المفتوحة في الحي إلى الموقع الأثري. 3. إلى جانب نشاطاتها الأثرية السياحية، تواصل إلعاد جهودها لشراء المنازل والاستيلاء على مناطق إضافية في القرية. 4. إعاقة تسوية الأراضي، إعاقة تخطيط فلسطيني وضبط سكاني وهدم مبانٍ كما سنوضح لاحقًا.

### 5. تسوية وتسجيل الأراضي

كجزء من مصفوفة الضبط وتمكين تطبيق استراتيجيات الإحاطة، التقطيع، التغلغل والإحلال في حيّز الحوض البصري، استُخدم نظام الأراضي المركزي والذي يسعى إلى تهويد الأرض من خلال إعاقة تسويتها بواسطة تحديد حدود الملكية وتسجيلها على أصحابها[37].

يجب أن نشير إلى أنّ عمليات تسوية الأراضي وتسجيلها في القدس الشرقية عامة، وفي محيط الحوض البصري خاصة، معقدة للغاية وتتألف من مكونات مختلفة. يرجع بعض هذه التعقيدات إلى تعقيد الصراع الجيوسياسي عليه. يضاف إلى ذلك المكانة القانونية الفريدة للمقدسيين الفلسطينيين (مقيمين ثابتين، غائبين حاضرين، إثبات مركز حياة). ويرتبط تعقيد إضافي بالتسلسل الزمني لنظم الأراضي القائمة (العثماني، الانتدابي، الأردني، الإسرائيلي) والتي لا تزال تستخدم بشكل انتقائي من قبل مختلف المجتمعات المحلية في القدس الشرقية من ناحية (قانون الأعراف)، ومن قبل الحكومة الإسرائيلية (القانون الرسمي)، التي تهدف إلى فصل الأرض عن أصحابها الفلسطينيين وتخصيص وضع مؤقت وليس دائمًا لهم، لتسهيل مصادرة الأرض بأي وسيلة كانت من ناحية أخرى.

[37] خمايسي راسم. 2020. تسوية وتسجيل الأراضي في القدس الشرقية: الإشكاليات، التحديات والإسقاطات. المقدسية، السنة الثانية، العدد السابع، صيف 2020، ص. 15-50.

بالإضافة إلى ذلك، فإنّ القوانين والأنظمة الإسرائيلية المتعلقة بتسوية الأراضي وتسجيلها وإعادة تكييفها والتخطيط لها وإدارتها هي اليوم مركزية ومعقدة بشكل عام، ويضاعفها التعقيد الناجم عن الصراع القومي والوطني على القدس. حاليًا، فإنّ معظم الأراضي في حيز الحوض البصري المقدسي غير مسجلة بموجب تسوية رسمية بموجب القانون الإسرائيلي[38]، بل ما زالت تخضع لنظام أحواض تخمين تاريخية، حيث تم تسجيل قسائم الأراضي في هذه الأحواض وتعريفها وفقًا لـ "رسم الخرائط المساحية " لتحديد مقدار الرسوم الضريبية على الأرض التي يمكن تسجيلها وفقًا لنظام تسجيل سندات الأرض التقليدية.

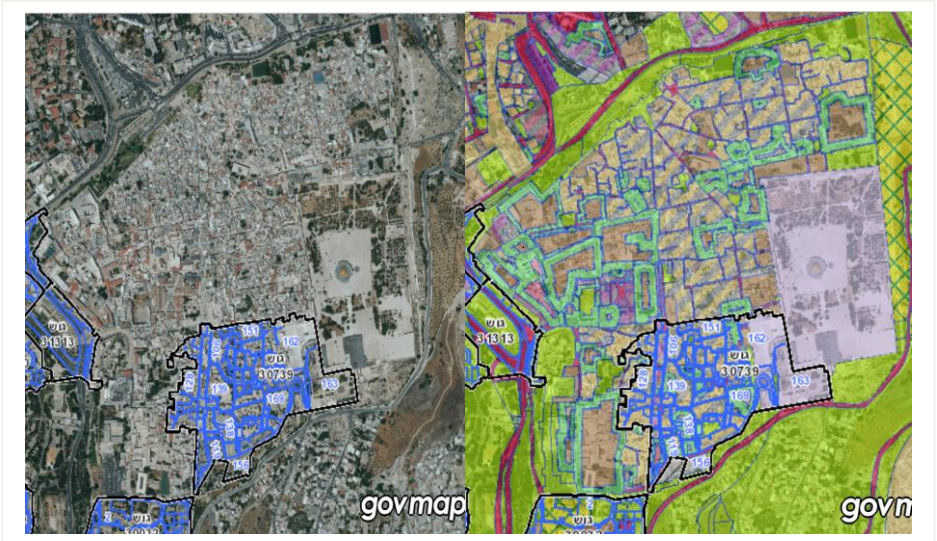


شكل رقم 3: خارطة صورة جوية (2021) لجزء من حوض البصري للبلدة القديمة عليها مبين الأحواض التي تم تسويتها وتسجيلها حسب نظام الأراضي الإسرائيلي الرسمي (بلون أزرق من اليمين)، (ومن الشمال) مضاف على الصورة الجوية طبقة استخدامات الأراضي المصدقة بموجب مخططات هيكلية.

[38] Zandberg Chaim, 2003. Jerusalem-Settlement and confiscation of land Right, *Hameshbat*, [the Law], 8, pp. 505-519 (بالعبرية).

بعد مرور أكثر من 55 سنة على احتلال القدس، وبعد أن جمدت السلطات الإسرائيلية إجراء تسوية على الأراضي في القدس عام 1967، ما زالت غالبية الأراضي في الحوض البصري بدون تسوية وتسجيل رسمي. حال غياب تسجيل وتسوية الأراضي يدخل المجتمع الفلسطيني المقدسي إلى مأزق ودوائر سحرية تهدد حفظه على ملكية أرضه في مكانه وإعاقة تنميته بها. يخدم حال غياب تسوية الأراضي وتسجيلها بالأساس السلطات الإسرائيلية، التي تفرض وجوب توفُّر تسجيل الأرض وتسويتها كطلب أساسي لاستصدار رخصة بناء، وفي حالة غياب هذا التسجيل لا تصدر رخص بناء، مما يوقع الفلسطينيين بمصيدة يتم قضم فرص تطورهم، ويدفعهم للمخالفة لتوفير حاجاتهم السكنية الأساسية على أرضهم من ناحية، ومن ناحية ثانيه تتهمهم الدولة بمخالفتهم للقانون وتعاقبهم، رغم أنّها هي المسؤولة عن تسوية الأرض والتخطيط لتمكّنها من منح الرخص وفضّ الشراكات المتعاقبة وزيادة حالة الشيوع على الأرض وتشويه معرفة حدود الملكية الخاصة[39].

كما أنّ غياب التسوية وتسجيل الأراضي في محيط الحوض البصري يحدث إعاقة أساسية في التطوير الفلسطيني ويساهم بشكل شبه مبطّن ومعلن في تهويدها ونقلها لسلطة الدولة بطريقتين أساسيتين: الأولى، بواسطة المصادرة على أساس استخدام قانون التنظيم والبناء الإسرائيلي لعام 1965، وتعديلاته، والذي يجيز مصادرة أراضٍ دون تعويض حتى 40% من مساحة قطعة الأرض، وفي حال عدم وجود تسوية أراضٍ فإنّ هذه النسبة تزداد، دون قبول أو اعتراف بادّعاء مالك أو حائز أرض غير مسجل رسميًا. أمّا الثانية فهي باستخدام قوانين ومرجعيات قانونية متعددة تُملك الدولة الأرض في أي حال لم يثبت حائز الأرض ملكيته الرسمية على الأرض[40]. وفي حالة انتقال الأرض بين الأجيال بدون

[39] Khamaisi Rassem. 2019. "The Trap of Urban Planning Development in Jerusalem," *Contemporary Arab Affairs*, Vol. 12, no. 2, pp: 105–138.

[40] Lven-Shnor Ronet, 2011. Privatization, separation and discrimination-the movements of the order of rights in real estate in East Jerusalem, *Eyone Meshbat*, [Legal Theory], no. 34, pp. 183-238 (بالعبرية).

تسجيل وتسوية رسمية، تتشتت الملكية والحيازة العرفية على الأرض، وتتقلص مساحة الأرض المستحقة بحكم التوريث بين الأجيال ممّا يجعل إمكانية الاستفادة من تشرذم وتعدد المالكين غير مجدٍ، ممّا يدفع إلى ترك الأرض، وتأتي البلدية أو سلطات الدولة بوضع اليد عليها وامتلاكها. من ناحية ثانية فإنّ شرذمة الملكيات بدون تسوية رسمية تزيد من الصراع عليها بين الوارثين أو المستفيدين، ممّا يزيد من العنف المجتمعي، خاصة وأنّ تغيير الأجيال يبعدها عن نظام الأعراف الذي بموجبه يمكن التمليك، وفي بعض الحالات يتم تسريب الأراضي بواسطة سماسرة لجمعيات يهودية صهيونية أو لأفراد ممّا يزيد من الاستيطان الإسرائيلي في قلب الأحياء العربية. هذا الحال نشهده على سبيل المثال في البلدة القديمة، سلوان، عين اللوزة وادي الجوز، ممّا يمكّن من تحقيق التغلغل الاستيطاني الإسرائيلي في محيط الحوض البصري.

### 6. ضبط سكاني وإسكاني

تتعامل الحركة الصهيونية -وحاليًا إسرائيل- مع الديموغرافيا العربية الفلسطينية كخطر وتهديد قطري، إقليمي ومدني[41] ممّا يدفعها إلى صياغة سياسات جيو-ديموغرافية تؤمن بالأغلبية اليهودية في محيط تبسط سيادتها عليه. تعتبر الديموغرافيا في القدس إحدى القضايا الشائكة والمعقدة لارتباط المكان/ المدينة بقيم وعقائد دينية، وسرديات وواقع جيوسياسي مركب. لذا تعمل المؤسسات الإسرائيلية على ضبط زيادة السكان الفلسطينيين في محيط القدس، وخاصة في محيط الحوض البصري من أجل تقليل عددهم باستخدام مركبات مصفوفة الضبط، وخاصة ضبط وتقليل فرص السكن ومنع زيادة فرص الإسكان في هذه المنطقة ذات الحساسية بواسطة منع إقرار مخططات هيكلية، إغلاق مناطق أثرية أو محميات طبيعية وحدائق وطنية، وعدم المبادرة لإقامة مشاريع إسكان. بالموازاة، يتم نشر خطاب ولغة يطرح بهما ويعرض من خلالهما شيطنة زيادة

[41] بيغمان عكيفا. الشيطان الديموغرافي: أسطورة أم حقيقة، مجلس المستوطنات ليهودا والسامرة، 24.8.2011 (بالعبرية). http:/ / www.myesha.org.il/ ?CategoryID=336&ArticleID=5136

السكان الفلسطينيين في الحوض البصري وأنّهم يشكلون تهديدًا على المكان ومستقبله والموروث الذي يجمعه هذا الحوض البصري[42]. نظرة فاحصة لعرض المعطيات حسب الانتماء الوطني (فلسطينيون مقابل إسرائيليين) حسب الأحياز الإدارية/ الأحياء، الوظائفية والعمرانية تظهر تفاوتًا في الميزان الديموغرافي بين الفلسطينيين والإسرائيليين. تشير المعطيات إلى أنّ الفلسطينيين في بلدة القدس القديمة يشكّلون أغلبية مطلقة (91.4% من السكان فلسطينيون مقابل 8.6% إسرائيليون)، رغم السياسة الحثيثة لتهويد حيّز البلدة القديمة ودفع سكان يهود للسكن بها، وأنّ نسبة العرب الفلسطينيين في حوض البلدة القديمة يشكّلون أغلبية مطلقة تصل حوالي 98.2% فلسطينيون مقابل حوالي 1.8% كما يبين الجدول 1، وذلك نتيجة أو بالرغم من سياسات تهويد المكان. بالمقابل، فإنّ نسبة السكان الفلسطينيين في القدس الشرقية تجاوزت 60.8% مقابل 39.2% نسبة المستوطنين الإسرائيليين. أمّا إذا أخذنا بعين الاعتبار مجمل السكان بمدينة القدس حسب الحدود التي وضعتها إسرائيل، نجد أنّ الميزان الديموغرافي هو لصالح الإسرائيليين مشكّلين 61% مقابل 39% فلسطينيين عام 2020[43].

[42] Khamaisi, R. (2019). Demography in Jerusalem: Reality, Transitions and Forecasts, SIYASAT ARABIYA, Vol, 39, July, P. 7-29.

[43] https:/ / jerusaleminstitute.org.il/ wp-content/ uploads/ 2022/ 05/ 2022-%D7%A2%D7%9C-%D7%A0%D7%AA%D7%95%D7%A0%D7%99%D7%99%D7%9A-%D7%A2%D7%91%D7%A8%D7%99%D7%AA-%D7%93%D7%99%D7%92%D7%99%D7%98%D7%9C.pdf

جدول 1: توزيع السكان في أحياء الحوض البصري للبدة القديمة حسب الانتماء القومي 2019

| اسم الحي | رقمه في خارطة الأحياء[44] | عدد السكان/ شخص | نسبة العرب/ الفلسطينيين | نسبة (عدد) اليهود وآخرين |
|---|---|---|---|---|
| البلدة القديمة | 25 | 31520 | 89.5 | 10.5 (3310) |
| الحي الإسلامي | 2511 | 22340 | 98 | 2 (44) |
| الحي اليهودي | 2512 | 3010 | 39 | 61 (1836) |
| الحي المسيحي | 2513 | 2230 | 50 | 50 (1115) |
| الحي المسيحي | 2514 | 3940 | 92 | 8 (315) |
| سلوان | 2611 | 19510 | 97 | 3 (58) |
| الثوري | 2612 | 12370 | 99 | 1 (12) |
| راس العمود | 2613 | 21220 | 97 | 3 (67) |
| الطور وسفوح جبل الزيتون | 2312 | 29500 | 100 | 0 |
| وادي الجوز والشيخ جراح | 2411 | 13680 | 99 | 1 (13) |
| باب الزاهرة- مسعودة | 2412 | 6250 | 99 | 1 (6) |
| جبل المكبر | 2711 | 25390 | 99 | 1 (3) |
| المجمل | | 190960 | 98.2 | 1.8 (3469) |

Table III/ 5 - Population of Jerusalem by Population Group, Quarter and Sub-Quarter, 2019

https://jerusaleminstitute.org.il/ wp-content/ uploads/ 2021/ 05/ shnaton_C0521.pdf

[44] https:/ / jerusaleminstitute.org.il/ wp-content/ uploads/ 2022/ 05/ %D7%9E%D7%A4%D7%AA-%D7%90%D7%96%D7%95%D7%A8%D7%99%D7%9D-%D7%A1%D7%98%D7%98%D7%99%D7%A1%D7%98%D7%99%D7%99%D7%9D-2022.pdf

من جهة، تطبيق مصفوفة الضبط لضخ سكان إسرائيليين وإقامة مستوطنات إسرائيلية في الحوض البصري، ومن جهة أخرى ضبط زيادة السكان والإسكان الفلسطيني. ما زالت البلدة القديمة ومحيطها الحوض البصري بموجب التعريف المقلص أو الواسع تعيش به أغلبية فلسطينية مطلقة، رغم استمرار تطبيق مصفوفة الضبط الإسرائيلية عليها. تعاني هذه الأغلبية من مشاكل تحديث حضري، جودة حياة وضائقة سكنية وحصر حيزي يستخدم التخطيط الحيزي الرسمي كأداة للحصر وإعاقة استدامة التنمية، ممّا سيزيد من حالات العنف الاجتماعي وهجرة فلسطينية سلبية، خاصة للطبقات الاجتماعية متوسطة الحال للتفتيش عن جودة حياة والخروج من مصيدة الضبط الممارسة على الحوض البصري المقدسي، من أجل استبدال السكان به باستخدام سياسات التجديد الحضري وتنمية مشاريع اقتصادية سياحية، بدل توفير السكن اللائق للفلسطينيين.

## 7. التخطيط الحيزي الضابط المُمَيز في المحيط البصري

ترجمة عملية لمجمل مركبات مصفوفة الضبط التي تمارسها وتطبقها السلطات الإسرائيلية من خلال مؤسسات التنظيم الحيزي المركزية المعمول بها قسرًا والمُكَوّنة من مستويات مختلفة تشمل الحكومة الإسرائيلية، لجان تنظيم قطرية مركزية وفرعية قطاعية، ولجنة محلية للتنظيم والبناء تمثّل ذراع البلدية بالتخطيط والترخيص والرقابة بما في ذلك فرض الغرامات، إصدار أحكام بهدم مبانٍ وتنفيذ هذه الأحكام. مؤسسات التنظيم هذه مشكّلة من ممثلي أذرع وأجهزة إسرائيلية، بدون حضور وتمثيل عربي فلسطيني، لتشكّل وسيطًا مؤسساتيًّا مُنَظمًا لتطبيق الأيديولوجية الدينية والجيوسياسية التي تسعى الحكومة الإسرائيلية ومؤسسات يهودية محلية وعالمية لإنجازها في القدس، وخاصة في المحيط البصري المقدسي. كما أنّ مركبات مصفوفة الضبط المتعلقة بالتخطيط الحيزي، خلقت وكوّنت منظومات ومؤسسات ثنائية ومزدوجة قطرية وبلدية تعمل في نفس الحيّز، ممّا تساهم في زيادة تعقيد تعامل التخطيط الحيزي العقلاني التشاركي البديل المبادر له من المجتمع المحلي الفلسطيني لصدّ العدوان التخطيطي القائم،

حيث أنّ تنظيم، تخطيط وتنمية الوجود الفلسطيني في محيط الحوض البصري المقدسي، يشكّل خطرًا من وجهة نظر إسرائيل ومؤسسات التخطيط بها، على تطبيق المشروع الأيديولوجي الإسرائيلي المترجم لروايته، ويتشابك معها ويصارعها بمفاهيم تخطيطية تعتمد على مركبات أخلاقية إنسانية تلبّي احتياجات وجودية للفلسطينيين في الحيّز الذي يعيشون به. هكذا يشكّل الصراع على التخطيط الحيزي ساحة عراك مني/ سياسي بين مشروعين: مشروع إحلالي يطبَّق من فوق، يستخدم قوة الدولة والبلدية لتطبيق مصفوفة ضبط يمارسها من خلال أجهزة التنظيم والتخطيط، تسوية الأراضي ومنح رخصة البناء؛ مقابل مشروع تنموي مبادر له من تحت، من المجتمع المحلي الفلسطيني، يستخدم التخطيط كأداة للدفاع حتى في المحاكم الإسرائيلية المفروضة عليه.

ترجمة هذا التخطيط الضابط على الحوض البصري كان من خلال مخطط هيكلي القدس 2000، والذي صاغ سياسات واضحة لحفظ وضبط التطوير في محيط الحوض البصري، وحدد استخدامات أراضٍ تتجاهل الوجود العربي الفلسطيني القائم والمطلوب في محيط الحوض البصري مثل إبقاء كل حي سلوان ومحيطها كمنطقة خضراء (انظر شكل 4). استخدم هذا المخطط موروث التخطيط الانتدابي، عدّله وطوّره بالاعتماد على تغيّرات في نماذج (براديم) وسياسات التخطيط الحيزي الإسرائيلية لتحقيق أهدافها للتعامل مع الحال المنشأ، واستشراف المستقبل وتحقيق الرؤية والأهداف في ظل إنهاء حال به سيطرة مؤقتة على القدس إلى تثبيتها من خلال تخطيط حيزي موجّه يشمل القدس الغربية والشرقية كوحدة حضرية، جيوسياسية وبلدية وفي مركزها البلدة القديمة وحوضها البصري. تتلخّص مبادئ التخطيط الأساسية التي عرضها لأحكام المخطط بالنقاط التالية:

1. تحديد البلدة القديمة كمنطقة تلتزم فيها كل خطة تفصيلية بتضمين أحكام تضمن الحفاظ على تراث الماضي بجميع مكوناته جنبًا إلى جنب مع نسيج الحياة القائم.

2. تعريف المدينة القديمة مع وضع أحكام مع التركيز على المناظر الطبيعية والتراث والسياحة والآثار جنبًا إلى جنب مع الإسكان.
3. تحديد الحوض البصري للبلدة القديمة وممرات المراقبة منها وإليها، مع وضع قيود البناء في منطقتها.
4. تعريف المدينة التاريخية والأحياء التاريخية كموقع أو مجمع للحفظ، ووضع التعليمات التي يتم بموجبها وضع خطة شاملة مع تعليمات الترميم لكل موقع، ووضع التعليمات المتعلقة بالموافقة على المخططات التفصيلية حتى يتم إقرار هذه الخطة.

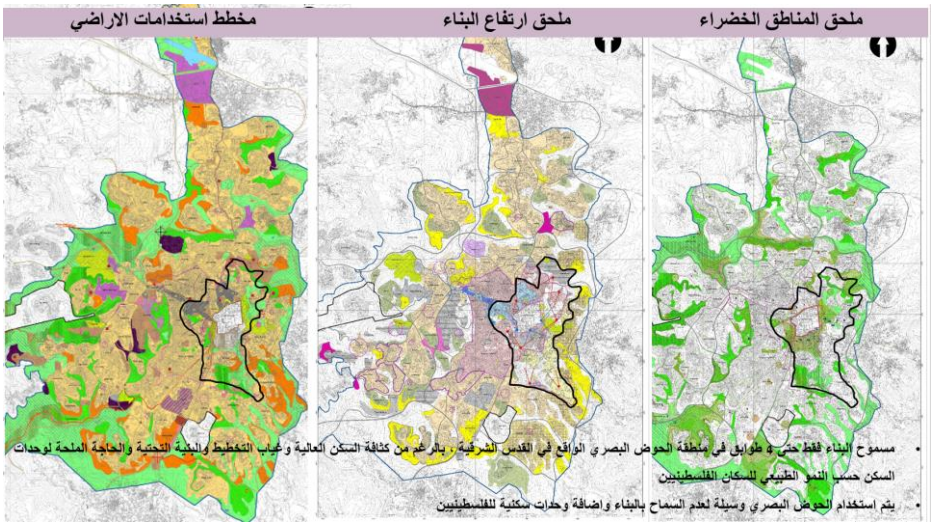


شكل 4: خارطة مخطط القدس 2000 وملحقاته المحددة للمناطق الخضراء، ارتفاعات المباني وتحديد موقع الحوض البصري كما تمت الإشارة إليه في المخطط. رغم أنّ هذا المخطط لم يقرّ رسميًا حسب القانون، ولكن تم تبنيه لتوجيه سياسات التخطيط الحالية والمستقبلية نحو عقدين من الزمن من قبل معظم السلطات العاملة في توجيه وإقرار التخطيط المحلي التفصيلي، والذي بموجبه يمكن منح رخص بناء.

**خاتمة**

إنتاج تسمية اصطلاحية للمكان يُعرف بها هو جزء من هندسة الوعي والتعامل مع المكان الجغرافي وتلبيسه بلباس أيديولوجي ديني. ليس عرضًا بأنّ أحد خطوط المواجهة الساخنة بين الفلسطينيين والإسرائيليين يتركز حاليًا في محيط البلدة القديمة وحوضها والبصري من خلال صياغة تعريفه كحوض مقدس عقائديًا. هذا الصراع يمثل الصراع على الرواية الحضور/ الوجود واستشراف التطوير والتنمية.

كما أنّه صراع بين ما هو الثابت وما هو المؤقت، وكيفية تحويل هوية وطابع المكان باستخدام مصفوفة ضبط تمارسها قوة الدولة وأذرعها لتحويل المؤقت الجيوسياسي إلى ثابت مع "حقوق" مكتسبة مهندسة من أجل إقرارها بأنّها غير قابلة للتغيير في ظروف جيوسياسية مستقبلية. هذه "الحقوق" المكتسبة باستخدام القوة العسكرية، ناكرة للحقوق الوجودية للسكان الأصليين الشرعيين، وغير مقرّة بروايتهم ولا تسمح بتلبية احتياجاتهم الحياتية اليومية ومتطلباتهم وطموحاتهم لإحقاق حقهم الطبيعي في مدينتهم.

الصراع المعلن والمبطن، القاسي واللين في محيط الحوض البصري سوف يزداد على خلفية الصدامات اليومية، ورفض السلطات الإسرائيلية منح الفلسطينيين حقوقهم الطبيعية، بل تقوم بمعاقبتهم وصدّ وسدّ آفاق التطور لهم في مدينتهم.

حاولنا بهذه الدراسة الموجزة إلقاء الضوء على حال الصراع في الحوض البصري المقدسي المحيط بالبلدة القديمة. يبدأ هذا الصراع من إنتاج المصطلح المعرّف للمكان من جغرافي إلى عقائدي، مترجمًا لرواية تسعى إلى هندسة الوعي وتؤسس لأخلاقيات استخدام مصفوفة الضبط لتحقيق مشروع الدولة المسيطرة، والتي تنكر الحق الطبيعي للسكان الأصليين وتحرمهم من ممارسة حقهم الطبيعي في مدينتهم وإنتاج حيّزهم. لذا لا بدّ من إنتاج وتبنّي مصطلحات شبه حيادية تترجم رواية ورؤية تشكل أساسًا لصياغة حيّز المدينة الحضري.

هذا الحيّز المنتج يُمَكّن من حفظ الحقوق الأساسية الفردية والجمعية للإنسان المقرّة بالمواثيق الدولية والعرف المحلي، ومع ذلك تلبية متطلبات السكان دون عدوان عليهم وعلى مستقبلهم، وفتح آفاق لتطوير المدينة وللوصول إلى تسويات جيوسياسية تخفض مستوى الصراع على المدينة والصدام بها.

أشرنا في المقال إلى حساسية البلدة القديمة وحوضها البصري، وأنّ استمرار تطبيق مصفوفة الضبط من قبل السلطات سوف يؤجّج الصراع ويهدّد الاستقرار في المدينة والبلاد.